روايات مصرية للجيب

مغامرات

قضية الوصية الضائعة

٣٢

٤ × ٢

سلسلة ألغاز بوليسية مثيرة للناشئين

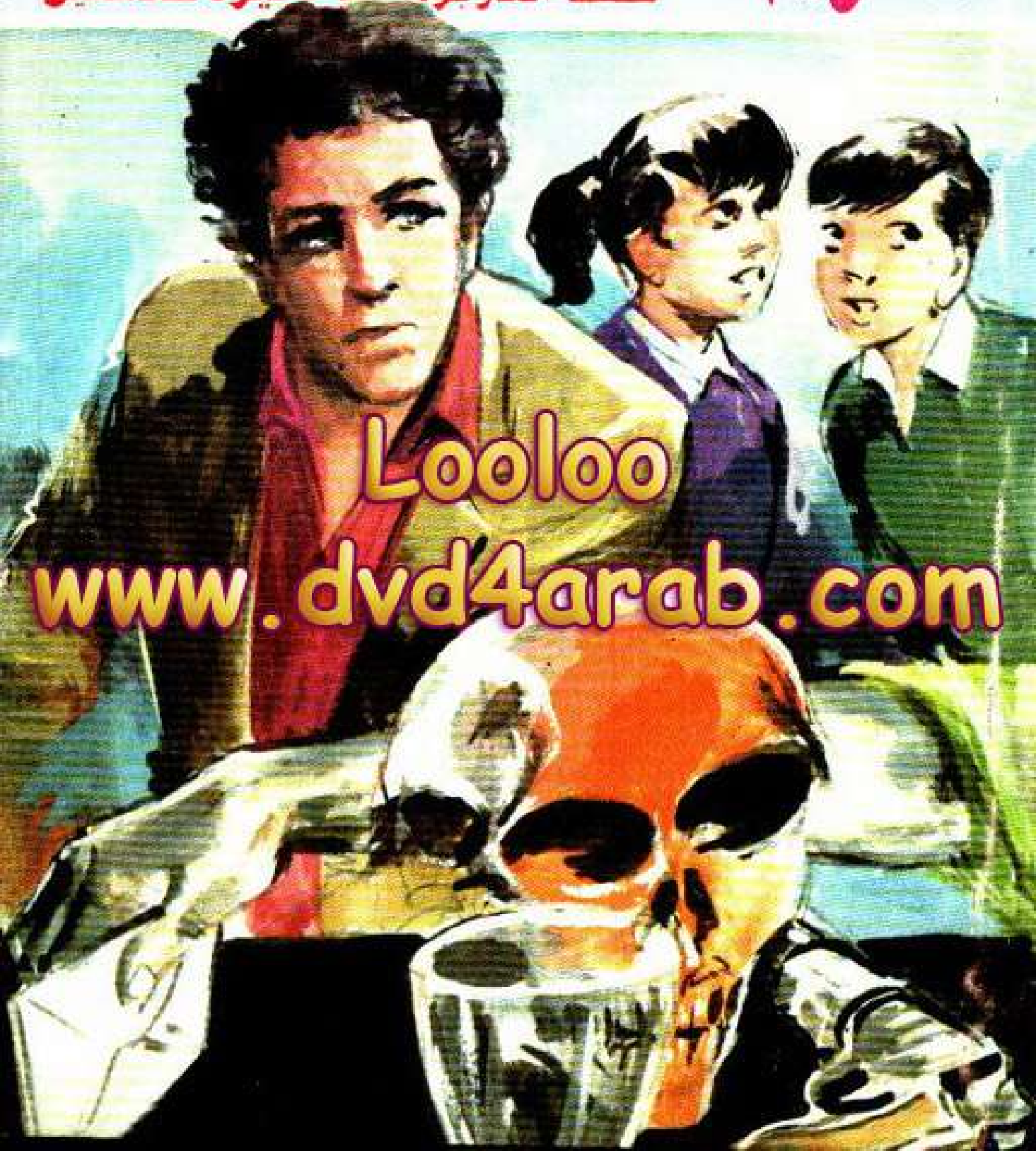

Looloo
www.dvd4arab.com

١ ــ استغاثة ..

تصاعد شعور قوى بالحَنَق ، فى أعماق الصحفى (عصام كامل) ، مع رنين ساعة التنبيه المجاورة لفراشه ، فى تمام السابعة صباحًا ، وامتدَّت يده من أسفل غطاء الفراش الصُّوفى السميك ، تضغط زرّ إيقاف الرنين فى الساعة ، وتثاءب هو فى عمق ، وهو يغمغم :

ــ يا إلهى !!.. يوم آخر من العمل والبرد القارس .

خامرته رغبة شديدة فى العودة إلى النوم ، فلم يكن قد حَظِىَ به إلا لأربع ساعات فحسب ، بعد أن قضى نصف الليل فى تغطية حادث سير عنيف ، اصطدمت فيه حافلة ضخمة بثلاث سيارات ، ودرَّاجة بخاريَّة ، وتمتم فى تكاسل :

ــ لست أظن العالم سيتوقَّف ، أو أن توزيع الجريدة سينخفض ، لو أن (عصام كامل) تأخَّر فى الذهاب إلى عمله لساعتين أو ثلاث .

عاد يتثاءب فى قوة ، وتراقصت على شفتيه ابتسامة ، وكأنما راقت له الفكرة ، فأسبل جفنيه ، وترك جسده ينعم بدفء الفراش ..

وفجأة ، ارتفع الرنين مرَّة أخرى ، على نحو أدهشه ، ففتح عينيه ، وتطلَّع إلى ساعة التنبيه فى حَيْرَة ، ثم لم يلبث أن أدرك أنه رنين جرس الباب ، فغمغم فى حَنَق :

ـــ أى زائر سخيف هذا ؟

مطَّ شفتيه فى سُخط ، وقرَّر أن يتجاهل ذلك الزائر ، الذى اختار وقتًا عجيبًا لزيارته ، إلا أن ذلك الزائر لم يتوقَّف عن قرع الجرس ، على نحو كاد يحطِّم أعصاب (عصام) ، فقفز من فراشه ، وتناول روبه المنزلى ، وهو يهتف فى غضب :

ـــ أُقسم أن أقتله ، لو أنه مجرَّد بائع أخطأ الشقة .

اندفع فى خطوات واسعة يَعْبُر رَدْهة المنزل ، وهو يرتدى روبه المنزلى ، ويعقد حزامه فى حِدَّة ، ثم فتح الباب دفعة واحدة ، وهو يهتف فى حَنَق :

ـــ من ؟.

تراجع الرجل الواقف بالباب فى حركة حادَّة ، وارتبك ، وتلعثم ، وهو يغمغم :

ـــ أأنت الأستاذ (عصام كامل) .. الصحفى ؟

تلاشى حَنَق (عصام) رُوَيْدًا ، ليفسح مجالًا لدهشته وتساؤله ، وهو يتطلَّع إلى الرجل القصير القامة نسبيًّا ، النحيل

الوجه والجسد ، الأشيب الشعر ، الذى يبدو فى أوائل الخمسينات من عمره ، والذى راح يتطلَّع إليه بدوره فى توتُّر ، وران عليهما صمت قصير ، استعاد خلاله (عصام) هدوءه ، مع ارتفاع حُضُوله ، فقطع الصمت مغمغمًا :

ـــ نعم .. هو أنا .. كيف يمكننى أن أخدمك بالضبط ؟

غمغم الرجل فى ارتباك :

ـــ لست أدرى .. لست أدرى بعد ، ولكننى أظنك الرجل القادر على معاونتى .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يتأمَّله مرَّة أخرى فى حَيْرَة ، وقد بدا من حُلَّة الرجل القديمة أنه رقيق الحال ، شديد النظافة والعناية بنفسه وهِنْدامِه ، مما جعل (عصام) يقول فى إشفاق :

ـــ حسنًا .. ما رأيك أن نتحدَّث بالداخل ؟. الطقس شديد البرودة هنا .. أليس كذلك ؟

تمتم الرجل فى تلعثم :

ـــ بلَى .. إنه كذلك .

أفسح له (عصام) فى الطريق ، فدلف الرجل إلى الشقة ، وأغلق (عصام) الباب خلفه ، ثم دعاه للجلوس ، ووقف أمامه لحظة صامتًا ، ثم تنحنح مغمغمًا :

ـ أتتناول قدحين من الشاى أوّلًا ؟

رفع الرجل عينيه إليه فى حياء ، وغمغم :

ـ كلّا .. شكرًا لك .

ثم أطرق برأسه ، وعاد إلى صمته ، مما دفع (عصام) ، الذى التهمه فُضُوله فى شراهة ، إلى أن يسأله فى اهتمام :

ـ ما سرُّ هذه الزيارة يا ترى ؟

رفع الرجل عينيه إليه مرّة أخرى ، وقال فى صوت مختلج :

ـ إنها ليست زيارة فى الواقع يا أستاذ (عصام) .

وارتسم حزن شديد فى أعماقه ، وهو يستطرد فى مرارة :

ـ يمكنك أن تسميها استغاثة .

ارتفع حاجبا (عصام) فى دهشة ، وهو يغمغم :

ـ استغاثة ؟!

هتف الرجل فجأة فى ضراعة :

ـ أرجوك يا أستاذ (عصام) .. إننى أستغيث بك ، لتعاوننى على استعادة حقّى الضائع .. أرجوك .

نطق الجزء الأخير من عبارته ، وهو يتشبّث بذراع (عصام) ، الذى أدهشه الأمر فى شدة ، فهتف فى حَيْرة :

ـ ولماذا أنا بالذات ؟

هتف الرجل فى انفعال :

ـ إننى أتابع كل تحقيقاتك ، وأعلم أنه ما من رجل سواك ، يمكنه حل ذلك الغموض ، الذى يتسبّب فى حرمانى من ثلاثة ملايين جنيه .

اتسعت عينا (عصام) فى دهشة ، حينما سمع ذلك الرقم ، الذى لا يتناسب أبدًا ومظهر الرجل الرقيق الحال ، ودفعته دهشته إلى أن يجلس فى بطء ، فوق المقعد المقابل للرجل ، ويصمت طويلًا ، قبل أن يقول فى انفعال :

ـ حسنًا .. من الواضح أن الأمر غامض بالفعل .. لِمَ لا تروى لى كل شىء على نحو جيّد منتظم ؟

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وازدَرد لُعابه ، وهو يقول فى اضطراب :

ـ نعم يا أستاذ (عصام) .. سأخبرك .. سأخبرك بكل شىء .

* * *

اسمى (سيد) .. (سيد عبد القادر) .. أعمل منذ عشرين عامًا كسكرتير خاص لرجل الأعمال ، والمليونير المصرى المعروف (ممدوح نصير) ، ولقد أفْنَيْت شبابى كله فى خدمته ، وتحمّلت عصبيّته الزائدة ، وأسلوبه العنيف فى التعامل مع

ودفعته دهشته إلى أن يجلس فى بطء ، فوق المقعد المقابل للرجل ، ويصمت طويلًا ..

الجميع ، ولقد قدَّر الرجل خدماتى ، فأوصى لى بثلث ثروته ، البالغة تسعة ملايين جنيه مصرى ، وحرَّر بذلك وصية قانونية ، بحضور الأستاذ (سعفان) ، محامى الأسرة ، منذ حوالى ثلاثة أشهر ، واحتفظ بها فى مكتبه ..

ثم تُوفِّى السيِّد (ممدوح) منذ أسبوعين ..

وبعد تشييع الجنازة طالبت ورثته ، وهم أشقاؤه : (مدحت) و (مراد) و (منير) ، بنصيبى من الثروة ، طبقًا لوصية شقيقهم الراحل ، إلا أنهم أنكروا وجود الوصيَّة تمامًا ، على الرغم من أن آخر كلمتين نطق بهما شقيقهما ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، هما : « (سيِّد) .. الوصيَّة » .. وكان يَعْنى بهما أنه قد أوصَى لى بثلث ثروته ، ولكنهم رفضوا ذلك تمامًا ..

ولجأت إلى الأستاذ (سعفان) المحامى ، لأستشهد به على الأمر ، فأخبرنى أن شهادته لاتُغْنى شيئًا ، بالنسبة لقوانين الميراث وأعرافه ، وأنه لابدَّ من وجود الوصية الأصلية ، للحصول على نصيبى من الثروة ..

وإزاء إصرارى على البحث عن الوصية ، وافق الأشقاء الثلاثة على البحث عنها ، بمعاونة الخدم ، وبعد بحث دام يومين ، عثرت إحدى الخادمات على مظروف ، فى الفراغ

الضيّق ، بين سرير المرحوم (ممدوح) وجدار الحجرة ، وعليه كتب المرحوم بخطّه كلمة (وصيّتى) .. وتصوّرت أن حقّى سيعود ، ولكننا فوجئنا بأن المظروف خال من أيّة أوراق ..

وهكذا ضاع حقّى ..

الجميع يرفضون الاعتراف بنصيبى فى الثروة ..

حتى الأستاذ (سعفان) يرفض التدخّل فى الأمر ..

وبعد أن كدت أيأس ، تذكّرت تحقيقاتك البوليسية ، التى أتابعها فى شغف ، والتى تشفّ عن ذكاء نادر تتمتّع به ، فجئت إليك ..

جئت أرجوك أن تعاوننى فى البحث عن (الوصية الضائعة) ..

أرجوك ..

* * *

استمع (عصام) إلى قصة (سيّد) فى اهتمام ، وعقد حاجبيه وهو يدرس الأمر على كل الوجوه ، ثم هزّ رأسه فى حيْرة ، وهو يقول :

ــ ولكن ما الذى تتصوّر أن أفعله لك يا أستاذ (سيّد) ؟.. إنك تؤكّد أنكم قد بذلتم جهدًا حقيقيًا ، للبحث

عن تلك (الوصيّة الضائعة) ، دون أن تجدوا لها أثرًا ، فكيف تتوقّع منّى أن أجدها ؟

هتف (سيّد) فى انفعال :

ــ إننى واثق من أن العثور عليها يحتاج إلى ذكاء ، فلقد علم الجميع بأمر الوصية ، من خلال زلّة لسان للمرحوم (ممدوح) قبيل وفاته ، وثاروا لأنه منحنى ثلث ثروته دفعة واحدة ، وهدّدوه بتمزيق تلك الوصيّة ، لو وقعت أيديهم عليها ، وكان ذلك قبل يومين فقط من وفاته ، ولقد أشار فى حديثه معى إلى أنه سيخفيها فى مكان ما ، يعجز جميعهم عن التوصّل إليه ، ولكن القَدَر لم يمهله حتى يخبرنى بذلك المكان .

التقى حاجبا (عصام) مرّة أخرى ، وهو ينهض ، ويغمغم فى اهتمام بالغ :

ــ إذن فالوصيّة فى مكان ما ، داخل منزل (ممدوح نصير) ، وأنت تريد منّى أن أبحث عنها ، وأعثر عليها ، لتحصل على حقّك فى الميراث .

هتف (سيّد) فى حرارة :

ــ وسأمنحك عشرة فى المائة من نصيبى ، لو أمكنك العثور على (الوصية الضائعة) .

أطلق (عصام) من بين شفتيه صفير دهشة ، وهو يهتف :

ـ عشرة فى المائة ؟!.. هذا يَعْنى ثلاثمائة ألف من الجنيهات .. أليس كذلك ؟

صاح (سيِّد) فى انفعال :

ـ بلَى .. وسأُوقِّع معك عقدًا بذلك .

ابتسم (عصام) ، وقال فى حماس ، وقد استهواه الأمر :

ـ ليس الآن يا أستاذ (سيِّد) .. فلنؤجِّل التعاقد لحين جمع الفريق ، واستطلاع أرض المعركة .

غمغم (سيِّد) ، وهو يتطلَّع إليه فى دهشة :

ـ الفريق ؟!

اتسعت ابتسامة (عصام) ، وهو يقول :

ـ نعم .. الفريق .. فريق (ع × ٢) .

* * *

٢ ـ القصـر ..

لم تكن أرض المعركة منزلًا ، كما كان يتوهَّم (عصام) ، وإنما فيلًّا ضخمة ، بالغة الأناقة ، أشبه بقصر صغير من قصور الأربعينات ، حتى إن (عماد) و (عُلا) قد شهقا من فَرْط الانبهار والدهشة ، حينما أوقف (عصام) سيارته أمام الفيلَّا ، وهتفت (عُلا) فى حماس :

ـ يا إلهى !!.. سنبحث عن لُغز فى قصر .. هذا يشبه الأفلام السينمائية القديمة .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـ أتعشَّم ذلك يا (عُلا) ، فكل تلك الأفلام كانت تنتهى بانتصار الحق .

قال (عماد) فى رزانة ، وهو يغادر السيارة :

ـ وكذلك يحدث فى الواقع يا أستاذ (عصام) ، ولكنه يستغرق بعض الوقت ؛ لأن الحياة ليست فيلمًا ، لا تزيد مدة عرضه على تسعين دقيقة .

تأمَّله (عصام) فى إعجاب ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ كم تُروق لى فلسفتك ، التى تتجاوز سنوات عمرك كثيرًا يا (عماد) .

ضحكت (عُلا) ، وهى تقول :

ـ دَعْك من فلسفة (عماد) ، وأخبرنا .. كم لدينا من الوقت ؛ لحل لُغز تلك (الوصية الضائعة) ؟

مطَّ (عصام) شفتيه ، قائلًا :

ـ يوم ونصف يَوْم ، ما تبقى من يوم الخميس ، وكل يوم الجمعة فقط .

هتف (عماد) فى استنكار :

ـ فقط ؟!

أجابه (عصام) فى هدوء :

ـ نعم .. فقط ، فستعودان صباح السبت إلى مدرستكما ، ووالدكما لم يسمح لكما بمشاركتى اللُّغز سوى هذه الفترة ، ثم إن أصحاب القيلًا الحالين ، رفضوا استضافتنا لأكثر من ذلك .

أومأ (عماد) و (عُلا) برأسيهما فى تفهُّم ، ثم قالت (عُلا) :

ـ لا بأس .. سنقبل الأمر ، ولن نخيِّب ظن الجميع .

سألها (عصام) باسمًا :

ـ أتعنين أننا سنحل اللُّغز ، فى هذه الفترة القصيرة ؟

تبادل (عماد) و (عُلا) نظرة واثقة ، ثم التفتا إلى (عصام) ، وقالا فى آن واحد :

ـ بإذن الله ..

* * *

كان استقبال الأشقاء الثلاثة : (مدحت) و (مراد) و (منير) لـ (عصام) و (عماد) و (عُلا) باردًا ، فاترًا ، ولقد عَبَّر (مراد) عن ضيقهم ، حينما قال فى حِدَّة :

ـ كنَّا نتمنَّى استقبالك مع الصبيَّين فى ظروف أخرى يا أستاذ (عصام) ، فنحن نعلم أنه ما من طائل من حضوركم بشأن تلك الوصيَّة .

ابتسم (عصام) فى برود ، وهو يقول :

ـ من يدرى ؟

ثم استوَى جالسًا على أقرب مقعد قابله ، وأشار إلى (عماد) و (عُلا) بالجلوس على مقعدين متجاورين ، وهو يقول فى خُبْث :

ـ ولكنَّ هناك أمرًا يُقلقنى بالفعل يا سادة .. لماذا وافقتم على حضورنا إلى هنا ، والبحث عن وصيَّة تنكرونها ؟

عقد (مدحت) حاجبيه ، ومطّ شفتيه فى حَنَق ، وهمهم (منير) بكلمات غير مفهومة ، على حين قال (مراد) فى حدّة :

ــ لنحسم هذا الادعاء السخيف ، الذى يصرُّ عليه رجل فى عمر والدنا .

مال (عصام) إلى الأمام ، وهو يقول :

ــ عجبًا !!.. كنت أظن أنكم جميعًا تثقون فى وجود تلك الوصيَّة .

هتف (منير) فجأة فى حِدّة :

ــ من أعطاك هذا الانطباع الغبىّ ؟

اعتدل (عصام) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ شجاركم مع شقيقكم الراحل ، حينما أشار إليها .

عقدت الدهشة ألسنتهم لحظة ، ثم غمغم (مدحت) فى حَنَق :

ــ هذا لا يؤكّد وجودها .

ابتسم (عصام) فى سُخرية ، وهو يقول :

ــ هل تظن ذلك ؟

أجابه (مدحت) فى تحدٍّ غاضب :

ــ نعم .. أظن ذلك .. فمن أدراك أن شقيقنا لم يتراجع عن موقفه ، ويمزّق تلك الوصيَّة مثلًا ؟

شَحُبَ وجه (سيِّد) ، وتراجع (عصام) فى دهشة ، إزاء هذا الافتراض الجديد ، الذى لم يَدُر بخلَدِهِ من قبل ، وتبادل (عماد) و (عُلا) واحدة من نظراتهما الغامضة ، قبل أن يسأل (عماد) فجأة :

ــ أتظنُّونَ أن علاقة شقيقكم الراحل بالأستاذ (سيِّد) ، تجعله يُوصى له بثلث ثروته ؟

هتف (مراد) فى عصبيَّة :

ــ كلًّا بالطبع .

وغمغم (مدحت) فى حِدَّة :

ــ ولا حتى بالعُشر .

على حين عقد (منير) حاجبيه ، وقال فى غضب :

ــ وما شأنك بهذه الأمور أيها الصغير ؟

أجابه (عصام) فى صرامة :

ــ فلنقُل إنه يتحدَّث عن لسانى يا سيِّد (منير) .

مطَّ (منير) شفتيه ، وهو يقول فى امتعاض واستنكار :

ــ هذا الصَّبىّ ؟!

أجابه (عصام) فى حزم :

ــ نعم .. هذا الصَّبىّ .

ثم اعتدل مردفًا فى صرامة :

ــ وعلى الرغم من إنكاركم جميعًا لأمر الوصيَّة ، فلقد عرَّجنا قبل قُدُومنا على الأستاذ (سعفان) ، محامى الأسرة ، ولقد أكَّد لنا أن المرحوم قد كتب تلك الوصيَّة ، ولكنه أكَّد لنا فى الوقت ذاته عدم معرفته بمكانها ، أو مصيرها بعد كتابتها .

زفر (مدحت) فى عمق ، وقال فى عصبيَّة :

ــ فَلْيَأْتِ بها (سيِّد) ، وسنمنحه نصيبه بموجبها .

ثم اندفع يهتف فى غضب :

ــ أيعقل هذا ؟.. أيعقل أن يمنح شقيقنا ثُلُثَ ثروته لسكرتيره ، ويترك ثلثيها لأشقائه الثلاثة ؟!.. أى أن نصيب الواحد منا سيقل عن نصيب السكرتير !. أيبدو لكم هذا معقولًا ؟!

تبادل (عماد) و (عُلا) نظرة غامضة أخرى ، ثم غمغمت (عُلا) فى صدق :

ــ كلَّا .. إنه لا يبدو كذلك .

ثم سألهم (عماد) فى اهتمام :

ــ متى أخبركم شقيقكم بأمر الوصيَّة ؟

أجابه (مراد) فى توتُّر :

ــ قبل وفاته بيومين فقط ، ولقد أرانا إيَّاها ، و .....

بتر عبارته بغتة ، وتطلَّع إليه شقيقاه فى صرامة غاضبة ، فتنقَّل بصره بينهما فى جَزَع ، وهو يبتلع الجزء الباقى من حديثه ، فغمغم (عصام) فى انفعال :

ــ إذن فقد رأيتم الوصيَّة !

أجابه (مدحت) فى تحدٍّ :

ــ نعم .. لقد رأيناها .. لقد أرانا شقيقنا إيَّاها ، ولكن هذا لا يثبت شيئًا ، فكما قلت لك من قبل ، قد يكون قد مزَّقها ، وتراجع عن قراره فيها .

سأله (عماد) فى اهتمام :

ــ ولكن لماذا أراكم الوصيَّة ؟

أشاح (مدحت) برأسه فى حِدَّة ، على حين أجاب (مراد) فى توتُّر :

ــ لقد تشاجرنا معه وقتها ، وأراد أن يؤكِّد لنا قُدرته على إذلالنا ، فأخرج الوصيَّة ، وأرانا إيَّاها مهدِّدًا .

سألته (عُلا) فى اهتمام :

أشاح (مدحت) برأسه فى جِدَّة على حين أجاب (مراد) فى توتُّر :

ــ لقد تشاجرنا معه وقتها ، وأراد أن يؤكِّد لنا قُدرته على إذلالنا ..

ــ أفعَل ذلك أمام عم (سيِّد) ؟

هتف (مراد) فى جِدَّة :

ــ (سيِّد) لم يكن هنا وقتها .

التفت (عصام) إلى (سيِّد) فى دهشة ، وهو يهتف :

ــ كيف ؟.. ألم تقُل إنك قد سمعت ذلك الحوار ؟

ارتجف (سيِّد) ، وهو يغمغم :

ــ بلى .. لقد سمعته ولكن .. ولكن .....

صاح به (عصام) فى غضب :

ــ ولكن ماذا ؟

أطرق (سيِّد) برأسه ، مغمغمًا فى أسف :

ــ كنت أسترق السمع .

هتف (مراد) فى غضب :

ــ أيها الحقير .

سأله (عماد) فى سرعة ، وكأنما يحاول أن يحُول بينه وبين مزيد من الغضب والتوتُّر والعصبيَّة :

ــ وماذا فعل شقيقكم ــ رحمه الله ــ حينما أثارتكم وصيَّته ؟

لوَّح (منير) بكفِّه وهو يقول :

— لا شيء .. ابتسم فى سُخرية ، وأعادها إلى جيبه ، وحينما طالبناه بتمزيقها أجاب بأنه سيمزّقها فيما بعد .

تبادل (عماد) و (عُلا) نظرة متوتّرة غامضة ، ثم سألت (عُلا) فى اهتمام :

— كيف مات الأستاذ (ممدوح) ؟

تطلّع إليها الجميع فى دهشة ، ثم أجاب (مراد) فى توتُّر :

— ماذا تعْنينَ بكيف مات ؟.. لقد كنّا نجلس جميعًا هنا ، فى رَدْهة القصر ، نتناول بعض عصير الفواكه ، حينما جحظت عيناه فجأة ، وشهق فى قوة ، وهتف بكلمتين ، ثم سقط جثة هامدة .

سأله (عماد) فى انفعال :

— وهل تناولتم جميعًا ذلك العصير ، من مصدر واحد ، أم .....

قاطعه (عصام) ، وهو يسأله فى مزيج من الحَيْرة والقلق :

— ما الذى تَعْنيه هذه الأسئلة يا (عماد) ؟

التفت إليه (عماد) فى هدوء ، ثم عاد يواجه الآخرين ، مجيبًا فى حزم :

— إنها تَعْنى أننا لسنا إزاء حالة وفاة عادية أيها السادة ، وإنما حالة قتل .. لقد قُتِلَ الأستاذ (ممدوح نصير) بفعل فاعل ..

* * *

٣ — جريمة قتل ..

تفجّرت الدهشة فى الأعماق ، وتصاعدت إلى الوجوه ، وأطلّت من عيون الجميع ، وهم يحدّقون فى وجه (عماد) ، كما لو كانوا يتطلّعون إلى أعجوبة من أعاجيب الزمان ، غادرت كتب الأساطير ، وجاءت لتقف أمامهم ..

وران على المكان كله صمت رهيب ، بدا وكأنما توقّف الزمن ، فلم تجد الأصوات مجالًا تنتقل عَبْره ..

ثم انفجرت عبارة ساخطة غاضبة ..

عبارة أطلقها (مدحت نصير) ، وهو يهتف :

— أى هُرَاء هذا ؟

بدا (عماد) شديد الهدوء والثقة والرصانة ، على نحو منحه مظهرًا يفُوق عمره بمراحل شتَّى ، وهو يقول :

— اهدأ يا أستاذ (مدحت) ، وسنناقش كل شيء بالمنطق والعقل .

صاح (مراد) فى غضب هادر :

— أى منطق ؟ وأى عقل ؟!.. أيترك قولك مجالًا لهما ؟

أجابته (غلا) فى صرامة :

ــ بالتأكيد يا أستاذ (مراد) ، لو كنتم تحملون قليلًا من الحُبّ ، والاحترام ، والتقدير لشقيقكم الراحل .

حدَّق (منير) فى وجهها بدهشة ، ثم رفع عينيه إلى (عصام) ، وهو يهتف فى استنكار :

ــ من أين أتيت بهذين الصبيَّين ؟.. من سيرك (الحلو) ؟!

ابتسم (عصام) ، وهو يقول فى اعتزاز :

ــ بل من عالم الأحلام والأساطير .

ثم التفت إلى (عماد) ، يسأله فى اهتمام :

ــ ما الذى وضع فى رأسك فكرة القتل يا (عماد) ؟

أجابه (عماد) فى اهتمام :

ــ راجع الأحداث ، وسنجد أنها تتفق مع ذلك تمامًا يا أستاذ (عصام) ، فالأستاذ (ممدوح) ــ رحمه الله ــ يختلف مع أشقائه كثيرًا ، حتى إنه قرَّر منح سكرتيره (سيِّد) ثُلُثَ ثروته ، وكتب وصيَّة بذلك بالفعل ، وشهد محاميه توقيعها ، بل أخبر أشقاءه بها ، وبعدها مات فجأة ، وهو يحتسى قدحًا من عصير الفواكه .. من الواضح أن أحد هؤلاء السادة ــ أو كلهم ــ رأى أن تلك الوصيَّة تسىء إليه ، وتحرمه بعض

حقوقه ، ولم يجد أمامه ، إزاء عناد شقيقه وتعنُّته ، سوى التخلص منه ، ومن الوصيَّة فى آن واحد ، ليستعيد كل حقوقه .

صاح (مدحت) فى ثورة :

ــ أتتَّهمنا بقتل شقيقنا أيها الصبىّ ؟

أجابته (غلا) فى هدوء :

ــ إننا لم نتَّهم أحدًا بعد .

صاح بها فى غضب :

ــ ولن تفعلوا .. غادروا هذه القيلًا ، قبل أن أطردكم منها شرّ طِرْدة .

انعقد حاجبا (عصام) فى شدة ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لا بأس يا أستاذ (مدحت) .. سنغادر القيلًا ، ولكننا لن نتخلَّى عن القضية ، وسنثير فكرة مقتل شقيقكم فى كل الأوساط .

لوَّح (مراد) بذراعه فى غضب ، وهو يقول :

ــ لن يصدِّقكم أحد ، ثم إن الطبيب ، الذى وقَّع الكشف على شقيقنا ، بعد وفاته ، رجَّح كَوْن الوفاة طبيعيَّة .

هزَّ (عصام) كتفيه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ هذا أبسط مما تتصوَّر يا أستاذ (مدحت) ، فخطاب

بسيط من مجهول ، إلى النائب العام ، يشير إلى أن وفاة شقيقكم لم تكن طبيعية ، كفيل بإعادة فتح الملف ، وتشريح الجثة ، و .....

ارتسم الجزَع على وجوه الأشقّاء الثلاثة ، ولوَّح (منير) بكفّه ، وهو يهتف :

ــ مهلًا أيها الصحفى .. مهلًا .. إننا نتناحر من أجل تُهمة بلا أساس .. مجرَّد استنتاج وَاهٍ من صبيَّين ، لم يتجاوزا منتصف العقد الثانى من العمر بعد .

قالت (غُلا) فى عناد :

ــ يمكننا إثبات ذلك .

قال (منير) فى حَيْرة :

ــ كيف ؟.. لقد مات شقيقنا وسطنا ، وشاهدنا جميعًا لحظة مصرعه !

أجابته (غُلا) فى ثقة :

ــ لقد مات بالسُّمّ .

مرَّة أخرى عادت الدهشة تقفز من العيون ، وترتسم على الوجوه ، والجميع يحدِّقون فى وجهى (عماد) و (غُلا) ، حتى (عصام) ، ثم هتف (مدحت) فى ارتباك :

ــ مستحيل !!.. كيف تناول السُّمّ إذن ؟

أجابه (عماد) :

ــ مع عصير الفواكه .

عقد (مراد) حاجبيه ، وهو يهتف فى حَنَق :

ــ يا للسخافة !.. لقد تناولنا جميعًا نفس المشروب ، ومن نفس الزجاجة ، فلماذا يتناول هو السُّمّ دُوننا ؟

تبادل (عماد) و (غُلا) ابتسامة ، ونظرة غامضة ، ثم قالت (غُلا) فى هدوء :

ــ سنخبرك لماذا ؟..

ثم التفتت إلى (سيِّد) ، تسأله :

ــ هل اعتاد الأستاذ (ممدوح) ــ رحمه الله ــ تناول مشروباته فى كُوب خاص ؟

تطلَّع إليها (سيِّد) فى دهشة ، وهو يقول :

ــ نعم .. فى كأس من البلّور النقى ، كان يتفاءل بها كثيرًا .. كيف استنتجت ذلك ؟

مرَّة أخرى تبادل (عماد) و (غُلا) ابتسامتهما الواثقة ، ونظرتهما الغامضة ، ثم سأل (عماد) (سيِّد) :

ــ وأين تلك الكأس ؟

تردَّد (سيِّد) لحظة ، ثم غمغم :

ـ لست أدرى .. لنسأل الخادمات .

وهتف ينادى إحدى الخادمات ، فأتت مُهَرْولة ، وسألها فى اهتمام :

ـ أين كأس المرحوم (ممدوح) بك ؟

قلَّبت كفَّيها فى حَيْرة ، وهى تغمغم :

ـ لا أحد يدرى .. لقد اختفت منذ ذلك اليوم المشئوم .

غمغم (سيِّد) فى دهشة :

ـ اختفت ؟!

ثم التفت إلى (عماد) و (عُلا) فى حَيْرة ، فتبادلا نظرتهما وابتسامتهما مرَّة ثالثة ، ثم قالت (عُلا) فى ارتياح :

ـ هذا يُثبت نظريتنا .

هتف (مراد) فى عصبيَّة :

ـ أيَّة نظرية ؟

أجابته (عُلا) فى تحدٍّ :

ـ نظرية مقتل شقيقكم .. لقد قُتِلَ بالسُّمِّ فعلًا ، كما توقَّعنا ، ولكن السُّمَّ لم يُوضع فى المشروب ، وإنما فى الكأس .

مرَّة ثالثة تفجَّرت الدهشة فى الوجوه والعيون ، وهتف (منير) :

ـ فى الكأس ؟!

أجابه (عماد) :

ـ نعم .. لقد كانت جريمة مثالية .. كان القاتل يعلم ـ كما تعلمون جميعًا ـ أن المرحوم (ممدوح) لا يتناول مشروباته إلا فى كأسه الخاصة ؛ لذا فقد أذاب السُّمَّ ، وطلى به الكأس من الداخل ، ثم تركها تجفّ ، وعندما صبَّ المرحوم عصير الفواكه فى كأسه ، أذاب السُّمَّ ، وتناوله مع العصير ، وهكذا جرعه وحده ، ولم يشكّ أحدكم ، ولا حتى الطبيب الذى فحصه ، فى حقيقة مصرعه .

هتف الجميع فى انزعاج :

ـ يا إلهى !!

وأسرع (عصام) يقول فى انفعال :

ـ إذن فلقد قُتِلَ (ممدوح نصير) من أجل الوصيَّة ، التى اختفت بعد مصرعه تمامًا .

أومأت (عُلا) برأسها إيجابًا ، وهى تقول :

ـ هذا صحيح .. وربَّما حصل القاتل على الوصيَّة ، ومزَّقها ، أو أنه لم يحصل عليها بعد .

أكمل (عماد) فى صرامة :

ـ وهذا يَعْنى أن مهمَّتنا قد أصبحت مزدوجة .. سنبحث عن وصيَّة .. وقاتل .

* * *

٤ ــ القــاتل ..

جلس (عصام) مع (عماد) و (غُلا) وحدهم ، فى حجرة مكتب القيِّلا ، وسأل (عصام) فى اهتمام شديد :

ــ أتظنّان أن استنتاج شخصية القاتل ، قد يُرشد إلى موضع الوصيَّة ، لو أنها لم تُعدم بعد ؟

تبادلا نظرة غامضة ، ثم هزَّت (غُلا) رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ــ كلَّا .. لسنا نظن ذلك ، فلو أن القاتل لم يعدم الوصيَّة ، فهذا يَعْنى جهله لمكانها .

سألها فى لهفة :

ــ وماذا عن ذلك المظروف ، الذى وجدوه بين الجدار والفراش ؟.. ألا يُحتمل أنه يَعْنى أن القاتل قد حصل على الوصيَّة ، التى ارتكب جريمته من أجلها ، ومزَّقها ، وألقى المظروف فى ذلك المكان ؟

هزَّ (عماد) كتفيه ، وقال :

ــ ولماذا لم يمزِّق المظروف أيضًا ؟

مطَّ (عصام) شفتيه ، وهو يغمغم :

ــ لست أدرى .. ربَّما ..

توقَّف بحثًا عن تفسير ، إلا أن عقله عجز عن ذلك ، فعاد يمطُّ شفتيه ، مغمغمًا :

ــ من أين نبدأ بحثنا إذن ؟

أجابته (غُلا) ، وهى تشير إلى الأرفف المكتظَّة بالكتب :

ــ من هنا ؟

هتف (عصام) فى دهشة :

ــ ولماذا من هنا بالذات ؟

أجابه (عماد) :

ــ لأن المكان المثالى للاحتفاظ بورقة ، دون أن يلفت وجودها الانتباه ، هو مكان يكتظّ بالأوراق .

تطلَّع (عصام) إلى تلك الأعداد الهائلة من الكتب ، وهو يغمغم فى ارتياع :

ــ وهل سنفحص كل تلك الكتب ؟

ضحكت (غُلا) ، وابتسم (عماد) ، وهو يقول :

ــ كلَّا بالطبع ، فمن حُسْن حظّنا أنها مكتبة مفتوحة ، وأن آخر مرَّة شوهدت فيها الوصيَّة هى منذ ستة عشر يومًا تقريبًا ،

أجابته (غلا) ، وهى تشير إلى الأرفف المكتظة بالكتب :

ـــ من هنا ؟

وهذه الفترة لا تكفى لتجمُّع الأتربة على حَوَافّ كتاب ، فى مكتبة مفتوحة ؛ لذا فسنستبعد كل الكتب المُتربّة .

تنهَّد (عصام) ، وهو يقول :

ـــ حسنًا .. هذا يخفِّف الحمل قليلًا .. لا بأس .. هيَّا نبدأ ..

* * *

اتكأ (رشوان) بمرفقه على مسند أريكته القديمة ، واهتزَّ جسده الضخم ، وهو يسحب الدُّخان من خرطوم نرجيلته إلى صدره ، ثم نفثه فى عمق ، وهو يتطلَّع إلى الرجل الجالس أمامه ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـــ إذن فأنت تحتاج إلى خدماتى !

أجابه الرجل فى انفعال واضح :

ـــ وسأدفع الثمن .

ارتسمت على شفتى (رشوان) ابتسامة تجمع ما بين السُّخرية والاستهتار ، وهو يتأمَّل الجالس أمامه ، قبل أن يغمغم فى تهكُّم :

ـــ تدفع الثمن ؟!

واعتدل جالسًا ، وأزاح خرطوم نرجيلته جانبًا ، ونفض غبارًا وهميًّا عن قميصه ، وهو يستطرد فى دهاء :

ـ يبدو أنك لم تلجأ من قبل إلى مثل هذا النوع من الخدمات .. أليس كذلك ؟

غمغم الرجل فى توتُّر ملحوظ :

هذا صحيح .

عادت تلك الابتسامة المقيتة إلى شفتى (رشوان) ، وهو يقول :

ـ كم تنوى أن تدفع إذن ؟

عقد الرجل حاجبيه ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ ما تطلبه أنت .

اتسعت ابتسامة (رشوان) ، وهو يقول :

ـ هذا يتوقَّف على طبيعة العملية .

غمغم الرجل فى عصبيَّة :

ـ إنه صحفى ، وصبيَّان .. وعليك أن تتمَّ العملية الليلة .

رفع (رشوان) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

ـ الليلة ؟!.. أتريد منِّى أن أقتل لك شابًّا وصبيَّين ، خلال أربع ساعات فقط ؟!.. إنها الثامنة مساءً !

غمغم الرجل فى توتُّر :

ـ سأدفع ما تطلبه .

ابتسم (رشوان) ، وهو يقول :

ـ إنها عملية عاجلة ، والأطباء يحصلون على أجر مضاعف فى مثل هذه الحالات .

سأله الرجل فى عصبيَّة :

ـ كم تطلب ؟

اتسعت ابتسامة (رشوان) ، وهو يقول :

ـ الضعف .. كما يفعل الأطباء .. صحيح أننا نختلف كثيرًا فى الأداء ، ولكنْ كل منَّا يسعى خلف الأرواح .. أليس كذلك ؟

وازداد اتساع ابتسامته ، وكأنما راقت له دُعابته ، فأطلق ضحكة مجلجلة ، على حين عاد الرجل يسأله فى توتُّر :

ـ كم تطلب ؟

بتر (رشوان) ضحكته بغتة ، ومسح شفتيه بظهر كفِّه ، وعاد يتناول خرطوم نرجيلته ، وهو يقول فى صرامة :

ـ عشرة آلاف جنيه للثلاثة .

ـ أجابه الرجل فى حِدَّة :

ـ سأدفع .. على أن يتم التنفيذ الليلة .

عادت الابتسامة إلى شفتى (رشوان) ، وأخرج مسدَّسه

الضخم من جيبه ، ولوّح به فى وجه الرجل ، وتألّقت عيناه ، وهو يقول فى جَذَل :

ــ اطمئن .. سينتهى الأمر الليلة .

وانطلقت ضحكته الجلجلة مرّة أخرى .

* * *

ألقى (عصام) الكتاب ، الذى يفحصه ، فى حَنَق ، وهتف وهو يلوّح بذراعيه فى الهواء :

ــ لاشىء .. سنقضى نصف عمرنا ، ونحن نبحث عن تلك الوصيّة اللعينة .

تنهّدت (غُلا) ، وهى تقول فى ضيق :

ــ أنت على حقّ يا أستاذ (عصام) .. إن خدم القيلا يعنون بالنظافة على نحو جيّد ، حتى إنهم سيضطروننا إلى فحص كل كتاب فى المكتبة .

هتف (عصام) فى سُخط :

ــ إنها وسيلة حمقاء ، ولو أن الوصيّة هنا ، فلن نعثر عليها أبدًا .

مطّ (عماد) شفتيه ، وهو يقول فى أسف :

ــ نعم .. أنت على حقّ يا أستاذ (عصام) .. إننا نتفق

جميعًا هذه المرّة .. لن نعثر على الوصيّة بتلك الوسيلة أبدًا .. إننا نبحث عنها منذ ثلاث ساعات بلا طائل ، وبقيت ساعة واحدة على منتصف الليل ، وأظن أننا نحتاج إلى بعض النوم والراحة .

زفر (عصام) فى قوة ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح .. لقد أوَى الجميع إلى فراشهم منذ نصف ساعة .. من الواضح أنهم يفضلون النوم مبكّرًا ، والاستيقاظ مبكّرًا هنا ، ولا ينبغى أن نبدوَ أمامهم فى صورة الكسالى الوحيدين بينهم .

غمغمت (غُلا) فى اعتراض :

ــ ولكننا سنضيع وقتًا طويلًا هكذا .. إن غدًا الجمعة ، ولو لم نفلح فى حلّ اللُّغز قبل منتصف ليله ، فسيعنى هذا أننا قد فشلنا لأوّل مرّة .

ابتسم (عماد) ، وهو يقول :

ــ ولكننا لم نفشل تمامًا يا شقيقتى العزيزة .. أنسيت أننا كشفنا مقتل السيّد (ممدوح) ؟.. هذا وحده يمنحنا نقطة تفوُّق .

هتفت به :

ــ المهم أن .....

بترت عبارتها بغتة ، حينما انقطعت الأضواء كلها دفعة واحدة ، وساد الظلام التام ، فشهقت فى فزع ، وتعلّقت بشقيقها ، على حين قال (عصام) فى سرعة :

ــ لا داعى للفزع .. لقد انقطع التيار فحسب ، وهذا شائع الحدوث هنا ، و .....

بتر عبارته بدَوْره ، حينما خُيِّل له أنه يسمع صوت باب المكتب يُفتح فى هدوء ، وكأنما يحرص من يفتحه على ألا يصدر صوتًا ، ولكن حذاءه أصدر صريرًا خافتًا ، وهو يدلف إلى الحجرة فى خُطُوات حَذِرَة ، مما دفع (عصام) إلى أن يضمَّ (عماد) و (غُلا) فى قوة ، وهو يقول فى توتُّر :

ــ من هنا ؟.. من دخل إلى الحجرة ؟

توقَّف الصَّرير فجأة ، وسمع (عصام) و (عماد) و (غُلا) صوتًا معدنيًّا ، جعل جسد (غُلا) ينتفض فى قوة ، وجسد (عماد) يتجمَّد فى ذُعر ، على حين أجبر صوت (عصام) على الارتجاف ، وهو يقول :

ــ أجب .. من أنت ؟.. من ؟

وفجأة ، سطع ضوء مصباح يغشى وجهه .. سطع على

نحو مفاجئ مباغت ، أصابه بالذُّعر والدَّهشة ، وأرسل فى جسده قُشَعْرِيرَة قوية ، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ..

سطع على نحو أجبره على إغلاق عينيه ، وهو يهتف فى ذُعر :

ــ من هنا ؟..

وفجأة ، جلجلت ضحكة ..

ضحكة مقيتة شريرة قاسية ..

وانطلقت رصاصة ..

رصاصة قاتلة ..

* * *

٥ ــ الصِّراع ..

لو أنك أجريت دراسة حول شخصية الصحفى (عصام كامل) ، واستعنت فيها بآراء جيرانه ، وأصدقائه القُدامى ، وزملاء طفولته ، لانتهت دراستك إلى أنه شخصية روتينية خاملة ، تميل إلى العناد بلامبرِّر ، والاستسلام أمام المخاطر العنيفة ، وتكره تمامًا الدخول فى مشاجرة عقيمة ، مع شخص أكثر قوة ..

أما لو اقتصرت دراستك على العام الأخير من حياة (عصام) ، فستأتى النتيجة مختلفة ..

بل عكسية تمامًا ..

خاصةً بعد ارتباطه بـ (عماد) و (غُلا) ، وانغماسه فى مغامراتهم وقضاياهم وألغازهم ..

ستنتهى بك الدراسة ، فى تلك الحالة ، إلى نتيجة مدهشة ..

هل تسأل : أيّة نتيجة ؟..

أظن أنك ستدركها ، حينما نصف لك ما حدث فى تلك الليلة ، فى مكتبة قيلًا (ممدوح نصير) ..

لقد أسقط القاتل ضوء مصباحه على وجوه (عصام) و (عماد) و (غُلا) ؛ ليُبهرهم ، ويُزيغ أبصارهم ، ويُفقدهم القُدرة على مقاومته ، حينما يطلق النار عليهم ، ولكن عينى (عصام) التقطتا مشهد المسدس ، الذى يمسك به القاتل ، لجزء من الثانية ..

وتفجَّرت فجأة تلك الشخصية الأخرى ، الكامنة فى أعماق (عصام) ..

وبحركة سريعة مَرِنة ، دفع (عصام) (عماد) و (غُلا) بعيدًا ، وهو يهتف فى حزم وصرامة :

ــ ابتعدا .

ثم انحنى متفاديًا تلك الرصاصة ، التى انطلقت من مسدس القاتل ، بصوت أقرب إلى الفحيح والهمس ، واندفع نحو هذا الأخير فى جُرأة وجسارة ..

وفوجئ القاتل بتلك المبادرة الجريئة ، حتى إنه عجز عن تصويب رصاصة ثانية إلى (عصام) ، وتلقَّى لكمة (عصام) فى فكِّه ، وسقط أرضًا ، على الرغم من ضخامة جسده ، وسمع صوت (عصام) الصارم يقول :

ــ من أنت ؟

وفوجئ القاتل بتلك المبادرة الجريئة ، حتى إنه عجز عن تصويب رصاصة ثانية إلى (عصام) ، وتلقى لكمة (عصام) فى فكه ..

وعلى ضوء المصباح اليدوى الخافت ، الذى سقط أرضًا ، قفز القاتل واقفًا على قدميه ، وهو يزمجر فى شراسة ، ويصوّب مسدّسه مرّة أخرى إلى (عصام) ، ولكن هذا الأخير قفز فى مرونة ، وركل المسدّس ركلة مُحْكَمَة ، أطاحت به إلى ركن الحجرة ، ثم انحنى متفاديًا لكمة قوية من قبضة القاتل ، وانتصب يدفع قبضته هو فى معدة القاتل ، بكل ما يملك من قوة ..

وتأوّه القاتل فى ألم ، وامتزج ألمه بغضبه لفقد مسدّسه ، الذى زوّده بكاتم خاص للصوت ، كلّفه تهريبه ثروة ، فصاح فى وحشية ، وانقضّ على (عصام) كالثور الهائج ، وطوّق وسطه وذراعيه بساعديه المفتولين ، ثم رفعه فى حَنَق وثورة ..

واندفع (عماد) و (عُلا) يحاولان نجدة رفيقهما ..

وفوجئ القاتل بهما يهاجمانه فى جسارة ، فهتف فى دهشة وغضب ، وهو يحاول أن يدفعهما بعيدًا :

ــ ابتعدا أيها الوغدين الصغيرين .. تبًا لكما .

هَوَتْ (عُلا) على ساعده ، تغرز فيه أسنانها ، وركله (عماد) فى قصبة ساقه فى قوة ، على حين تملّص (عصام) من ساعديه فى قوة ، وهو يهتف :

ــ سنهزمك أيها القاتل الحقير .. ستدفع ثمن محاولتك قتلنا .

حمله القاتل فى غنف ، وألقى به فوق (عماد) و (عُلا) ، ثم قفز نحو مسدَّسه ، والتقطه فى سرعة ، ورفعه نحوهم ، وهو يهتف فى سُخط :

ـــ ستدفعون أنتم ثمن مقاومتى .

وفى هذه المرَّة ، لم تكن هناك وسيلة للنجاة ..

* * *

فجأة ، سطعت كل الأضواء ..

سطعت دفعة واحدة ، على نحو غشى عينى القاتل ، ودفعه إلى أن يهتف فى سُخط :

ـــ اللَّعنة ..

ثم دوَّى صوت الرصاصة ..

وفتح (عصام) و (عماد) و (عُلا) عيونهم فى دهشة ، وحدَّقوا فى وجه القاتل ..

كان ثلاثتهم يعلمون ، من إطلاقه رصاصته الأولى ، أنه يحمل مسدَّسًا مزوَّدًا بكاتم للصوت ؛ لذا فقد أدْهَشهم أن يسمعوا دَوِىَ رصاصة ..

وكان من الواضح أن ذلك قد أدهش القاتل أيضًا ..

لم يدهشه فحسب ، وإنما أذهله ، وأصابه ..

أصابه إصابة قاتلة ..

ورأى ثلاثتهم القاتل يحدِّق فى ذُهُول ، فى بقعة ما خلفهم ، وخيط من الدم يسيل من ثقب صغير بين عينيه ، ويتساقط من أرنبة أنفه ، قبل أن يهوىَ جثة هامدة ..

واستدارت عيون الجميع إلى حيث كان يحدِّق القاتل ..

ورأوه ..

رأوا (سيِّد عبد القادر) ، شاحب الوجه كالموتى ، مرتديًا منامته ، وممسكًا بمسدَّس صغير ، تصاعد من فُوَّهته الأبخرة ..

وفى صوت مرتجف ، مرتعد ، غمغم الأستاذ (سيِّد) ، وهو يخفض فُوَّهة مسدَّسه :

ـــ لم أقصد قتله .. لقد أفزعتنى رؤيته ، وهو يصوِّب إليكم مسدَّسه .. لم أقصد قتله .

ثم انهار فوق مقعد قريب ، فنهض (عصام) ، وعاون (عماد) و (عُلا) على النهوض فى صمت ، ثم غمغم فى خُفوت ، وهو ينقِّل بصره بين جثة القاتل ، ووجه الأستاذ (سيِّد) المنهار :

ـــ يبدو أنه لا مفرَّ يا فريق (ع × ٢) .

وزفر فى قوة ، قبل أن يستطرد .

ـــ ستشاركنا الشُّرطة هذه القضية ..

* * *

٦ ــ التحقيق الرسمىّ ..

مطّ العقيد (خيرى) شفتيه ، وتنهّد وهو يلقى نظرة أخيرة على جثة القاتل ، مغمغمًا :

ــ (رشوان الدمنهورى) .. خطر على الأمن .. مروّج مخدّرات ، وسارق بالإكراه ، وقاتل أجير .. يالها من نهاية لوغد مثله !

ثم التفت إلى (سيِّد) ، مستطردًا :

ــ لست أدرى ما إذا كان ينبغى أن نستجوبك ، أم أن نتقدّم لك بالشكر يا أستاذ (سيِّد) .

غمغم (سيِّد) فى انهيار :

ــ إننى لم أقصد قتله .

ربّت العقيد (خيرى) على كتفه ، وهو يقول :

ــ لاعليك .. لن يدينك أحد بتلك التُّهمة ، فلقد اقتحم ذلك الوغد الفيلّا ، وحاول قتل الأستاذ (عصام) وولدين ، وقتلك له كان نوعًا من الدفاع عن النفس .. اطمئن .

غمغم (مدحت) فى توتُّر :

ــ ولكن كيف تسلَّل إلى هنا ؟.. إن الأبواب كلها مُحْكَمَة ؟

أشار العقيد (خيرى) بسبَّابته ، وهو يقول :

ــ أنت محقٌّ فى سؤالك هذا ، فلقد وجدنا كل مزاليج وأرتجة الأبواب والنوافذ سليمة .

قالت (عُلا) فى جزم :

ــ هذا يَعْنِى شيئًا واحدًا يا أبى .

سألها والدها فى هدوء :

ــ ما هو يا (عُلا) ؟

أجابته فى تأكيد :

ــ إن أحد المقيمين هنا قد ساعد ذلك القاتل على الدخول .

عقد (مراد) حاجبيه فى غضب ، وهو يهتف :

ــ أهو اتهام آخر أيَّتها الصبيَّة ؟

التفتت إليه (عُلا) ، وهى تقول فى عناد وتحدٍّ :

ــ نعم .. هو كذلك ؟

صاح فى غضب :

ــ أيَّتها الـ .....

قاطعه العقيد (خيرى) فى صرامة :

ـ مهلًا يا سيِّد (مراد) .. إنها ابنتى .

صاح به (مراد) فى حَنَق :

ـ هذا لا يمنحها حقّ اتّهام الناس هكذا جزافًا .

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه ، وهو يقول فى خشونة :

ـ ولكن تعليلها منطقىّ للغاية .. من الواضح أن ذلك القاتل قد دخل إلى هنا بمعاونة شخص يقيم بالڤيلّا ، ويسعى إلى التخلُّص من ولدىّ والأستاذ (عصام) .

قال (عصام) فى انفعال :

ـ الشخص الوحيد ، الذى من مصلحته أن يفعل ، هو قاتل (ممدوح نصير) .

ازداد انعقاد حاجبى العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

ـ قاتله ؟!.. لقد ظننت أنكم هنا من أجل وصية ضائعة ، لا من أجل جريمة قتل !

راح (عصام) يشرح له الأمر كله ، بكل تفاصيله وتطوُّراته ، حتى انتهى من روايته ، فقال العقيد (خيرى) فى حزم :

ـ هذا يبدِّل الأمور كثيرًا ، فنحن أمام جريمة قتل ، وأخرى شروع فى قتل .

غمغم (منير) فى عصبيَّة :

ـ إنه هَذَيان مخرَّفين .

مطَّ العقيد (خيرى) شفتيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ فلنترك تقدير ذلك للطبيب الشرعى ، بعد استخراج جثة شقيقكم ، وإعادة فحصها .

واشتدَّت لهجته صرامة ، وهو يردف :

ـ أما الآن ، فسنبدأ تحقيقًا جديدًا .. تحقيقًا رسميًّا .

* * *

بدا (مدحت نصير) شديد التوتُّر والعصبيَّة ، وهو يجلس أمام العقيد (خيرى) ، فى حجرة المكتب المغلقة ، التى تضمّهما مع (عصام) و (عماد) و (غُلا) ، وظلَّ العقيد (خيرى) يتأمَّله لحظات فى صمت زاد من عصبيَّته ، قبل أن يسأله فى هدوء :

ـ متى علمت بأمر تلك الوصيَّة ؟

غمغم (مدحت) فى عصبيَّة :

ـ أيَّة وصيَّة ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى صرامة :

ـ تلك التى ترك فيها شقيقك ثلث ثروته لسكرتيره .

غمغم (مدحت) فى عصبيَّة زائدة :

ــ إننى أنكر وجودها .

تراجع العقيد (خيرى) بمقعده ، وهو يقول فى برود :

ــ هل تنكر أن شقيقك أطلعكم عليها ؟

أجابه فى توتُّر :

ــ كلَّا ، ولكن هذا لا يَعْنى أنها وصيَّة سارية حتى الآن ، فربَّما تراجع عنها ومزَّقها .

قال العقيد (خيرى) فى صرامة :

ــ أو أن قاتله فعل ذلك ؟

هزَّ (مدحت) كتفيه فى عِنادٍ ، وهو يقول :

ــ إنها تفقد فاعليتها فى الحالتين .

تأمَّله العقيد (خيرى) لحظة فى صمت ، ثم سأله :

ــ لماذا تستكثر أن يَهَبَ شقيقك ثلث ثروته لسكرتيره ؟

أجابه فى حدَّة :

ــ لأنه لم يكن يميل إليه إلى هذا الحدّ ، ولأنه لا يستحق ذلك .

صمت العقيد (خيرى) لحظة أخرى ، ثم سأله بغتة :

ــ أتظن أن شقيقك كان يستحق القتل بسبب ذلك ؟

هتف (مدحت) فى غضب :

ــ بل (سيِّد) هو الذى يستحق القتل .

سأله العقيد (خيرى) فى بُرُودٍ :

ــ وهل كنت تظن أن القاتل الذى استأجرته ، سيحقِّق ذلك ؟

احتقن وجه (مدحت) ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ هل تتوقَّع أن أنهار وأعترف أيها العقيد ؟.. كلَّا .. إننى لم أستأجر أىَّ قتلة ، ولا علاقة لى بأيِّهم ، ولست قاتلًا ، ولم أعلم بما يحدث فى حجرة المكتب إلا بعد أن سمعت رصاصة (سيِّد) ، وأُقسم على ذلك .. هل يكفيك هذا لتصدِّقنى ؟

صمت العقيد (خيرى) لحظات ، ثم غمغم فى هدوء :

ــ نعم .. يكفينى .

نهض (مدحت) ليغادر الحجرة فى عصبيَّة ، على حين أردف العقيد (خيرى) فى صرامة :

ــ مؤقَّتًا ..

* * *

على الرغم من توتُّر (مراد) الواضح ، إلا أنه كان أكثر تعاونًا مع العقيد (خيرى) ، وأجاب :

احتقن وجه (مدحت) ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ هل تتوقع أن أنهار وأعترف أيها العقيد ؟..

ــ لست أصدّق طبعًا أن يَهَبَ شقيقى (ممدوح) ــ رحمه الله ــ ثلث ثروته لـ (سيِّد) ، فهو لم يكن يُوليه كل هذه الثقة أو المودَّة .

قال العقيد (خيرى) :

ــ ولكنه فعل بالتأكيد ، ومحاميكم شاهد على ذلك .

هزَّ (مراد) كتفيه ، مغمغمًا :

ــ ربَّما ، المهم أن نجد تلك الوصيَّة .

ساد الصمت لحظة ، ثم سأله العقيد (خيرى) فى اهتمام :

ــ ما سرّ خلافكم مع شقيقكم قبيل وفاته ؟

تنهَّد (مراد) ، وقال :

ــ خلافات على إدارة الشركات .. أقصد خلافات إدارية .

سأله العقيد (خيرى) :

ــ هل تملكون شيئًا فى تلك الشركات ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى ضيق :

ــ كلَّا .. كان رحمه الله يمتلكها كلّها .

سأله العقيد (خيرى) :

ــ وهل كانت علاقتكم به جيِّدة ؟

صمت (مراد) لحظات ، ثم أجاب فى لُحفُوت :

ـ كلّا .

اعتدل العقيد (خيرى) ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ لماذا ؟

تردَّد (مراد) لحظة ، ثم أجاب فى ضيق :

ـ لأنه أخونا من أمٍّ أخرى .. من زوجة ثانية لأبى ، ولقد كافح كفاحًا مريرًا ؛ ليصل إلى ذلك الثراء ، وكان يحبُّ دَوْمًا إذلالنا ، وتأكيد تفوُّقه علينا ، على الرغم من أننا ندير كل شركاته تقريبًا .

صمت العقيد (خيرى) لحظات ، ثم قال فى هدوء :

ـ حسنًا ياسيِّد (مراد) .. هذا كل ما أريده منك ، فى الوقت الحالى .

غادر (مراد) الحجرة فى هدوء ، ودلف إليها (منير) ، وجلس أمام العقيد (خيرى) فى عصبيَّة ، وأجاب عن أسئلته فى توتُّر وعدائيَّة ، حتى سأله العقيد (خيرى) :

ـ هل أغضبك أن يمنح شقيقك سكرتيره الخاص ثلث ثروته ؟

عقد (منير) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ ليس هذا من شأنى .. إنه حقُّه وحده .

وصمت لحظة ، ثم أردف فى عصبيَّة :

ـ وسيتبقَّى لى مليونان من الجنيهات على أيَّة حال .

ثم استدرك فى حِدَّة :

ـ المهم أن تجدوا تلك الوصيَّة أوَّلًا .

ابتسم العقيد (خيرى) ، وهو يسأله :

ـ إذن فأنت تعترف بأنها موجودة .

قال (منير) فى حِدَّة :

ـ بل بأنها كانت موجودة ، فلا يوجد مايؤكِّد وجودها حتى الآن .

اعتدل العقيد (خيرى) ، وهو يسأله :

ـ أتَعْنِى أنه من المحتمل أن يكون القاتل قد أعدمها ؟

أجابه فى عصبيَّة :

ـ أو أن يكون شقيقى نفسه قد فعل ذلك .

سأله فى اهتمام :

ـ ولماذا يفعل ؟

عقد حاجبيه فى حَنَق ، وهو يقول :

ـ ولِمَ لا ؟

أجابه فى هدوء :

ـ لأنه لا مبرّر لأن يكتبها ، ثم يعدمها .

ابتسم فى عصبيَّة ، قائلًا :

ـ هذا يتوقَّف على سبب كتابتها .

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ ماذا تُغنى ؟

حافظ (منير) على ابتسامته العصبيَّة ، وهو يقول :

ـ لست أُغنى شيئًا .

تبادل مع العقيد (خيرى) نظرة باردة ، ثم قال هذا الأخير فى حزم :

ـ حسنًا يا أستاذ (منير) .. سأكتفى منك بهذا القول .

نهض (منير) فى عصبيَّة ، واندفع يغادر المكان فى حِدَّة ، على حين التفت العقيد (خيرى) إلى ولديه ، قائلًا :

ـ هل توصَّلتما إلى شىء ؟

هزَّا رأسيهما نفيًا ، وغمغمت (عُلا) :

ـ ليس بعد .

ثم اعتدل (عماد) ، وقال فى اهتمام :

هناك شخص تنقصنا شهادته ، للوصول إلى استنتاج نهائى فى تلك القضية يا أبى .

سألهما العقيد (خيرى) فى اهتمام :

ـ من هو ؟

أجابه (عماد) :

ـ الشخص الذى يملك خيوط الأمر كله ، والذى يمكنه أن يلقى الضوء على أخطر جوانب القضية .. الأستاذ (سعفان) المحامى ..

* * *

٧ ــ رجل القــانون ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى الرابعة من فجر الجمعة ، حينما جلس الأستاذ (سعفان) المحامى أمام العقيد (خيرى) ، فى مكتبة قيلًا (ممدوح نصير) ، وهو يقول فى حَنَق واضح :

ــ أتعشَّم أن يكون السبب ، الذى انتزعتنى من فراشى من أجله ، بالأهمية الكافية لإحضارى إلى هنا ، فى مثل هذه الساعة أيها العقيد .

قال العقيد (خيرى) فى هدوء :

ــ أظن ذلك .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى بطء ، وضاغطًا على كل حرف من حروف كلماته :

ــ لقد أثبتت التحرِّيات أن (ممدوح نصير) مات قتيلًا .

انتفض جسد المحامى فى قوة ، واتسعت عيناه فى ذُعْر وذُهُول ، وسقطت فكّه السفلى فى ارتياع ، وبدا كمن أصابته صاعقة ، وهو يتشبَّث بحافَةِ المكتب ، ويتراجع بظهره ،

ويحدِّق فى وجه العقيد (خيرى) لحظة ، قبل أن تخرج الحروف من بين شفتيه مختنقة ، مرتجفة ، وهو يقول :

ــ قتيلًا !!.. مستحيل !.. مستحيل !

تراجع العقيد (خيرى) بمقعده ، وشبَّك أصابع كفَّيه أمام وجهه ، وهو يقول :

ــ لقد قُتِلَ بسبب الوصيَّة .

غمغم المحامى فى شُرُود :

ــ الوصيَّة !

عاد العقيد (خيرى) يميل نحوه ، وهو يسأله فى اهتمام :

ــ ألديك معلومات عنها ؟

تطلَّع إليه المحامى ذاهلًا ، وتمتم بعد لحظة من الصمت والشرُود :

ــ معلومات ؟!.. ما الذى تريد معرفته أيها العقيد ؟

سأله العقيد (خيرى) فى اهتمام بالغ :

ــ كل شىء يا أستاذ (سعفان) .. أريد أن أعرف متى كتب وصيَّته ؟ ولماذا ؟.. كل شىء ..

أومأ المحامى برأسه متفهِّمًا ، وهو يردِّد فى مرارة :

ــ إننى أفهم .. إننى أفهم .

ثم خلع منظاره الطبّيّ ، ومسح عينيه بمنديله ، قبل أن يستطرد :

ـــ لست أدرى لماذا كتب (ممدوح) ـــ رحمه الله ـــ تلك الوصيّة ؟ ولماذا أوصى لـ(سيّد) بالذات بثلث ثروته ؛ فلا أنا ، ولا أى مخلوق آخر كان يتوقّع منه إن يمنح (سيّد) بالذات تلك الهِبَة .. إنه حتى لم يخبره بها ، بل إنه تحدّث إلىّ ، قبل يوم واحد من مصرعه ، وكان يبدو شديد القلق ، وهو يخبرنى أن الجميع قد علموا بأمر الوصيّة ، حتى (سيّد) .. ولقد كتب تلك الوصيّة منذ ما يقرب من ثلاثة أشهر ، وحَرَص أشدّ الحرص على أن يمنحها شكلًا قانونيًا سليمًا للغاية .

سأله العقيد (خيرى) فى اهتمام :

ـــ ألاتدرِى أين أخفَى تلك الوصيّة ؟

هزّ المحامى رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـــ كلّا .. لست أدرى .. إننى لست أدرى حتى لِمَ يعمد إلى إخفائها .

تدخّل (عصام) ، ليسأله فى فُضُول :

ـــ ماوضع (سيّد) القانونى الآن ؟

عقد المحامى حاجبيه ، وهو يسأله :

ـــ ماذا تقصد بوضعه القانونى ؟

سأله (عصام) :

ـــ أقصد هل يمكن أن يحصل على نصيبه من الثروة ، على الرغم من اختفاء الوصيّة ؟

هزّ المحامى رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ كلّا .. هـذا مستحيل ، فهو ليس أحـد الورثة الشرعيّين .

وصمت لحظة ، ثم استدرك فى تردُّد :

ـــ مالم .....

سأله (عصام) فى اهتمام :

ـــ مالَمْ ماذا ؟

تردَّد المحامى لحظة أخرى ، ثم قال :

ـــ مالَمْ يعترف الورثة الشرعيُّون بأحقّيّته فى جزء من الميراث .

رفع (عصام) حاجبيه ، وخفضهما ، وهو يقول :

ـــ أظن أن هذا هو المستحيل بعينه .

اندفعت (عُلا) فجأة تسأل المحامى :

ـــ ألاتوجد وسيلة أخرى ؟

تطلّع إليها المحامى فى دهشة ، ثم أدار عينيه إلى والدها ، وكأنما يسأله عمّا يعنيه تدخُّل (غُلا) ، وأدرك العقيد (خيرى) مغزَى النظرة ، فابتسم وهو يقول :

ــ إننا ننتظر الجواب يا أستاذ (سعفان) .

ظلّ المحامى شاردًا لحظات ، وهو ينقّل بصره بين (غُلا) ووالدها ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه ، وهو يقول :

ــ كلّا .. لست أظن ذلك .. لاتوجد وسيلة أخرى .

سأله (عماد) :

ــ ألا يمكن إثبات أن (ممدوح نصير) قد كتب وصيّة بهذا الشأن ؟

أجابه المحامى فى اهتمام ، وكأنما لم ينتبه إلى سنوات عمره :

ــ حتى لو أمكننا ذلك ، وهذا شبه مستحيل ، فلن يحصل (سيّد) على شىء ؛ لأنه ما من دليل واحد ، يؤكّد أن (ممدوح) لم يتراجع عن قراره فى اللحظة الأخيرة ، ولم يلغ الوصيّة .

قال (عصام) :

ــ ولكنه أخبر الجميع لحظة موته ، بأنه قد ذكر (سيّد) فى وصيّته .

تطلّع إليها المحامى فى دهشة ، ثم أدار عينيه إلى والدها وكأنما يسأله عمّا يعنيه تدخل (غلا) ..

هزَّ المحامى رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يقول :

ـــ هذا لن يثبت شيئًا ، فكل ما قاله (ممدوح) ـــ رحمه الله ـــ وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة : « سيِّد .. الوصيَّة » .. وهاتان الكلمتان قد تعْنيان الكثير ، وقد لا تعْنيان شيئًا على الإطلاق ، فقد يفسِّرهما البعض على أنهما تأكيد لنصيب (سيِّد) فى الميراث ، على حين يفسِّرهما آخر على أنهما تحذير من تصديق قصة (سيِّد) عن الوصيَّة ، أو تأكيد لحرمان (سيِّد) منها .. هناك عشرات التفسيرات للكلمتين ، خاصة وأن محامى إخوة (ممدوح) سيبذل المستحيل ، لتجريد العبارة من أيَّة معانٍ ، من الممكن أن يفيد منها (سيِّد) .

هتف (عصام) فى حَنَق :

ـــ وماذا عن شهادتك أنت ؟.. ألَمْ تشهد تحرير الوصيَّة بنفسك ؟

زفر المحامى فى توتُّر ، وهو يقول :

ـــ هذا لايكفى من الناحية القانونية ، فلقد كان من الضرورى أن أحتفظ بنسخة من الوصيَّة ، أو يُحفظ الأصل فى مكتبى ، ولكن (ممدوح) ـــ رحمه الله ـــ أبى فى عناد شديد ، دون أن يخبرنى بالسبب .

سأله (عماد) فى اهتمام :

ـــ هل سألته لِمَ لَمْ يفعل ؟

لوَّح المحامى بذراعه ، وهو يقول فى حَنَق :

ـــ ولم يجب سؤالى أبدًا .. مكتفيًا بضحكة عابثة ساخرة .

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ عجبًا !!.. أيَّة قضية هذه ؟.. كل خطوة نقطعها فيها ، وكل إضافة نضيفها ، توسِّع أمامنا دائرة الغموض ، وتزيد حَيْرتنا وقلقنا .

غمغمت (عُلا) :

ـــ لا بأس يا والدى .. كثيرًا مايكون التعقيد الشديد هو الخيط الذى يقود إلى كل الحلول .

هتف (عصام) فى حَنَق :

ـــ كيف ؟

أجابه (عماد) :

ـــ دَعْنا نرتِّب الأحداث ، ونسترجع كل المواقف والعبارات ، وسنجد بالتأكيد خيطًا يقودنا إلى العثور على الوصيَّة الضائعة ، أو القاتل الذى يختبئ خلفها .

قلَّب العقيد (خيرى) كفَّيه ، وهو يقول :

ـ ماذا نسترجع ؟.. وأى شىء نستعيد ؟.. إنها عشرات المواقف والعبارات والكلمات .. وكل شخص يبدو بريئًا تمامًا .

قالت (غُلا) فى انفعال :

ـ ولكنْ هناك قاتل بالتأكيد ، وهو شخص يفيد أكبر فائدة من مقتل (ممدوح نصير) ، فى هذا التوقيت بالذات .

عقد (عماد) حاجبيه الصغيرين ، وهو يقول :

ـ إن قولك هذا شديد المطاطية يا (غُلا) ، فهو ينطبق على الجميع ، فيما عدا .....

بتر عبارته فجأة ، واتسعت عيناه ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !!

برقت عينا (غُلا) فجأة ، والتفتت إليه ، والتقت عيونهما ، وتألّقت فى حماس ، قبل أن تهتف (غُلا) :

ـ (عماد) .. لقد فهمت .. وأدركت .

التفتت إليهما عيون الجميع ، وهتف العقيد (خيرى) فى انفعال :

ـ ماذا أدركت يا (غُلا) .؟

اختلج جسد (غُلا) من فرط الانفعال ، وهى تقول :

ـ أبى .. أيمكنك جمع الجميع هنا ؟

تطلّع إليها والدها فى دهشة ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد ، ولكن لماذا ؟

أجابه (عماد) فى انفعال مماثل :

ـ لأننا قد توصّلنا إلى الحل يا أبى .

هتف (عصام) فى لهفة :

ـ هل عرفتما مخبأ (الوصيَّة الضائعة) ؟

تألّقت عينا (عماد) ، وهو يقول :

ـ بل أكثر من ذلك يا أستاذ (عصام) .

وأكملت (غُلا) فى حرارة :

ـ لقد عرفنا من قتل (ممدوح نصير) ..

* * *

٨ ــ المفاجأة ..

تبادل (مدحت) و (مراد) و (منير) نظرات مُفْعَمَة بالقلق والحَيْرة والتساؤل ، وهم يقفون فى حجرة المكتب ، وانتقلت نظراتهم إلى (سيِّد) ، الذى انكمش فى مقعده ، وسأل العقيد (خيرى) فى توتُّر :

ــ لماذا جمعتنا هنا يا سيادة العقيد ؟

تبادل العقيد (خيرى) نظرة هادئة مع ولديه (عماد) و (عُلا) ، ثم أجاب فى هدوء :

ــ لأننا نُعِدّ لكم مفاجأة .

واعتدل فى مقعده ، وشبَّك أصابع كفَّيه أمام وجهه ، مستطردًا :

ــ لقد كشفنا القاتل ، وعرفنا موضع الوصيَّة .

ارتسم الذُّهُول على وجوه الجميع ، وهم يحدِّقون فى وجهه ، وهتف (سيِّد) :

ــ ماذا ؟!.. أهذا معقول ؟

أومأ العقيد (خيرى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى هدوء :

ــ بل معقول يا أستاذ (سيِّد) .

ثم التفت إلى (عماد) ، و (عُلا) ، قائلًا :

ــ هيَّا .. أخبرا الجميع ما توصلتما إليه .

عاد الذُّهُول يُطِلُّ من العيون ، والجميع ينقِّلون أبصارهم إلى (عماد) و (عُلا) ، قبل أن يهتف (مدحت) فى سُخط :

ــ أجمعتنا هنا لنستمع إلى هُرَاء صبيَّين ؟!

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ــ استمع إليهما أوَّلًا ، وستقضى عمرك كله نادمًا على قولك هذا .

عقد (مدحت) حاجبيه فى حَنَق ، على حين عاد العقيد (خيرى) يقول لولديه فى هدوء :

ــ هيَّا .

تنحنح (عماد) ، وبدأ الحديث ، قائلًا :

ــ حينما بدأ هذا اللُّغز ، كان يقتصر على وصيَّة ضائعة ، من المفروض أن نسعى للبحث عنها ، والعثور عليها ، ولكن تطوُّر الأحداث قادنا فى سرعة إلى قضية جديدة ، ألا وهى أن موت السيِّد (ممدوح نصير) لم يكن طبيعيًّا ، بل كان عبارة عن جريمة قتل مُحْكَمَة ، وهكذا أصبحنا نواجه لُغزين .. لُغز (الوصيَّة

الضائعة) ، ولُغز القاتل المجهول ، ولقد وجدنا ، بما لا يَدع مجالًا للشك ، أن اللُّغزين يرتبطان بعضهما ببعض برباط وثيق ؛ فمن الواضح أن قاتل (ممدوح نصير) — رحمه الله — هو شخص يفيد أشد الإفادة من إبعاده عن الطريق ، فى هذه اللحظة بالذات ، ومن الطبيعى أن يكون هذا الشخص هو أحد المقيمين هنا .

هتف (مراد) فى حَنَق :

— حَذارِ أيها الصغير ، يمكننا أن نقاضيك بتُهمة القذف .

ابتسم (عماد) فى هدوء ، واندفعت (عُلا) تكمل حديثه ، قائلة :

— كان العثور على هذا الشخص ، دون دليل مؤكَّد ، يبدو أكثر استحالة من إعادة القتيل إلى الحياة ، وسؤاله عمَّن قتله ، حتى بدأنا نعيد ترتيب كل الأحداث والأقوال ، وعندئذ استوقفتنا عدة عبارات ، كانت بداية الخيط الذى قادنا إلى حلّ اللُّغز ..

مطّ (منير) شفتيه فى ازدراء ، وهو يقول :

— يا للسخافة !!

عقدت (عُلا) حاجبيها الصغيرين ، وهى تتطلَّع إليه فى سُخط ، فأكمل (عماد) :

— دَعُونا أيها السادة نسترجع تلك العبارات ، التى استوقفتنا أوَّلًا ..

فى البداية نجد أن آخر كلمتين نطق بهما القتيل هما : (سيِّد) .. (الوصيَّة) ..

ولقد قال الأستاذ (مدحت) ، حينما كان والدنا يستجوبه : إنه لم يعلم بما يحدث فى حجرة المكتب ، إلا بعد أن سمع رصاصة الأستاذ (سيِّد) ..

والأستاذ (مراد) قال : إن شقيقكم الراحل كان يهوَى إذلالكم ، وتأكيد تفوُّقه عليكم ..

والأستاذ (منير) أكَّد أن الوصيَّة لا تُعْنيه ، وأنه حتى لو تمَّ تنفيذها ، فسيتبقَّى له مليونان من الجنيهات ..

وحينما سأله والدنا عن وصيَّة شقيقه ، أجاب بأن وجودها يتوقَّف على السبب فى كتابتها ..

وأخيرًا قال الأستاذ (سعفان) : إن القتيل رفض تمامًا أن يخبره بسبب كتابته الوصيَّة ، وأنه رفض أن يمنحه نسخة منها ، كما أشار أيضًا إلى أن كل الكلمات يمكن منحها عشرات المعانى ، ما لم تكن واضحة محدودة ..

مطَّ (مدحت) شفتيه ، وهو يقول فى توتُّر :

ـ وما الذى يَعْنِيه كل هذا ؟.. إنها مجرَّد عبارات عادية !

هتفت (عُلا) :

ـ خطأ يا أستاذ (مدحت) ، إنها ليست عادية على الإطلاق .. إنها تقود إلى حقيقة هامة ، ألا وهى أن الإنسان لا يُقْدِمُ على القتل عادةً ، حينما تنخفض أرباحه ، وإنما قد يفعل ، إذا ما تهدَّده أمر ما بفقدها إلى الأبد .

ظهرت الحَيْرَة فى العيون ، وغمغم (مراد) :

ـ لست أفهم شيئًا .

ابتسم (عماد) ، وهو يقول :

ـ سأشرح لك يا أستاذ (مراد) .. إن تلك العبارات تَعْنى أن القاتل هو أحد المقيمين بالفيلا ، ولكنه آخر شخص نتوقَّعه .

هتف (سيِّد) يسأله فى لهفة :

ـ من هو أيها الصغير ؟.. من ؟

التفت إليه (عماد) ، وتأمَّله لحظة ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـ عجبًا !!.. كنت أظنّك الوحيد الذى يعرفه يا أستاذ (سيِّد) ، لأن القاتل هو أنت .. أنت قتلت (ممدوح نصير) ، مع سبق الإصرار والترصُّد .

* * *

كنت أظنك الوحيد الذى يعرفه يا أستاذ (سيد) ، لأن القاتل هو أنت .. أنت قتلت (ممدوح نصير) ..

٩ــ الوصـيَّة ..

لو أن (عماد) ألقى قنبلة فى وسط الحجرة ، ما كان لها ذلك الدَّوىّ الهائل ، الذى أحدثته عبارته فى قلوب ورءُوس الجميع ، وبخاصَّة (سيِّد) الذى اتسعت عيناه فى رُعب وذُهُول ، وهو يردِّد فى هلع :

ــ أنا ؟!

أجابته (عُلا) فى هدوء شديد :

ــ نعم يا أستاذ (سيِّد) .. أنت القاتل .. الترتيب المنطقى للأمور لا يقود إلا إلى هذه الحقيقة .

تجمَّدت الكلمات فى حلق (سيِّد) ، وعجز عن التفوُّه بحرف واحد ، على حين أكمل (عماد) حديث شقيقته بنفس الهدوء ، قائلًا :

ــ إن الوصيَّة التى كتبها المرحوم (ممدوح) ، والتى يُوصى لك فيها بثلث ثروته بعد وفاته ، لم تكن وصيَّة حقيقية ، على الرغم من أنها تتخذ الشكل القانونى الكامل ، بل كانت مجرَّد

وسيلة مبتكرة منه ؛ لتهديد إخوته ، وإذلالهم ، وتأكيد تفوُّقه عليهم ، وقُدرته على التحكُّم فى مصائرهم ، حتى بعد وفاته .. لهذا لم يخبرك بأمرها ، ولم يخبر محاميه أيضًا بسببها ، ولهذا أيضًا رفض أن يحتفظ الأستاذ (سعفان) بنسخة من الوصيَّة ، على خلاف ما كان ينبغى أن يحدث ، لو أنها وصيَّة حقيقية ..

تطلَّع الجميع إلى (عماد) فى ذُهُول ، وهو يستطرد فى بساطة :

ــ ثم جاءت الفرصة لاستغلال الوصيَّة ، حينما عارض الإخوة أسلوب أخيهم فى الإدارة ، فأبرز الوصيَّة ليهدِّدهم ، ولكنك سمعت الحديث ، حينما كنت تختلس السمع ، وسألته عما إذا كان يقصد ما جاء بالوصيَّة حقًّا ، فأقلقه هذا ، وأخبر محاميه الأستاذ (سعفان) أنك قد عرفت بأمر الوصيَّة ، وأخبرك أيضًا أنها مجرَّد وصيَّة زائفة للتهديد ، وهنا نبتت تلك الخُطَّة الشيطانية فى رأسك .

امتقع وجه (سيِّد) امتقاعًا شديدًا ، وهو يستمع إلى (عماد) ، الذى واصل حديثه ، قائلًا :

ــ قرَّرت أن تتخلَّص من الأستاذ (ممدوح) فى سرعة ، حتى يمكنك تنفيذ الوصيَّة ، والفوز بثلث الثروة ، فوضعت

السُّمّ فى كأسه ، وقتلته .. ولقد أدرك المسكين فعلتك ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وحاول أن ينبه الآخرين إلى أنك قد قتلته لتفوز بالوصيّة ، فهتف باسمك ، وبكلمة (الوصيّة) ، ولكنه قضى نحبه قبل أن ينطق بالمزيد ، واستغللت أنت الكلمتين ؛ لتوحى بأنه أراد أن يؤكّد وصيّته قبل موته .. ثم بدأت تبحث عن الوصيّة ، لتفوز بالثروة ، ولكنك فشلت ، ولم تعثر إلا على مظروف فارغ ، ورفض إخوة مخدومك الاعتراف بنصيبك ، فجُنّ جُنونك ، ووجدت أنك قد ارتكبت جريمة قتل بلا مبرّر ، ثم جال بخاطرك أمل أخير ، ألا وهو احتمال أن تكون الوصيّة فى مكان ما ، يحتاج إلى الذكاء لكشفه ، فلجأت إلى الأستاذ (عصام) كأمل أخير ، وهكذا حفرت قبرك بيديك ، فلجوؤك إليه هو الذى أوْقعَ بك .

ازداد امتقاع وجه (سيّد) ، حتى بات يحاكى وجوه الموتى ، وفتح شفتيه ؛ ليغمغم فى لُحفُوت شديد :

ــ كيف ؟.. كيف ؟

ثم تهاوى رأسه على صدره ، وهو يستطرد فى صوت أقرب إلى البكاء :

ــ كيف استنتجتما ذلك ؟

أجابته (عُلا) :

ــ كان من الواضح أن القاتل هو أحد المقيمين هنا ، نظرًا للقُدرة على دسّ السُّمّ ، ومعاونة القاتل الأجير على الدخول إلى القيلًا ، ولكن أحد الإخوة لم يكن لديه الدافع الشديد للقتل ، فلم يَعُد أمامنا سواك ، خاصّة حينما تذكّرنا أن القاتل الأجير قد تطلّع إليك فى ذُهُول ، حينما أطلقت النار على رأسه ، وليس فى رُعب ، ثم تذكّرنا عبارة الأستاذ (مدحت) حينما قال : إنه لم يعلم ما الذى كان يحدث فى حجرة المكتب ، إلا بعد سماع رصاصتك ، وهنا تساءلنا فى حَيْرَة : كيف اقتحمت الحجرة ، وأنت تحمل مسدّسًا ، وأطلقت النار فى سرعة على القاتل ، على الرغم من أن مسدّسه كان مزوّدًا بكاتم للصوت ، جعل من المستحيل أن يدرك أى مخلوق أنه قد أطلق النار علينا ، ولقد قادنا هذا إلى استنتاج جديد ، ألا وهو أنك أنت استأجرت ذلك القاتل الأجير .. ليس لقتلنا ، ولكن لتقتله أنت ، فقد أقلقك توصّلنا إلى مقتل الأستاذ (ممدوح) ــ رحمه الله ــ على حين كنت أنت تريد أن يقتصر الأمر على البحث عن وصيّة ضائعة ، وخشيت أن يقودنا البحث إليك ، فاستأجرت ذلك القاتل ، ثم باغتته بإطلاق النار عليه ، مما أذهله وهو يَلْقَى مصرعه ، لتُوحىَ لنا بأنك تعمل إلى جوارنا ، ولتؤكّد براءتك

فى الوقت ذاته ، ولكن من العجيب أن هذا الإجراء بالذات هو الذى أثار شكوكنا نحوك ، وقادنا إلى الإيقاع بك .

سالت دمعة مريرة من عينى (سيِّد) ، وهو يغمغم :

ــ لقد خدمكما الحظّ .

هتفت (عُلا) فى استنكار :

ــ أىُّ حظّ ؟.. لقد استنتجنا الحلّ بأنفسنا ، وبمعاونة الله (سبحانه وتعالى) ، ولا مجال للحظّ هنا .

ابتسم (سيِّد) فى مرارة ، وَرَانَ صمت ثقيل على الحجرة ، والجميع يحدِّقون فيه فى ذُهُول ، قبل أن يغمغم هو :

ــ كنت أستحق كل قرش فى مبلغ الوصيَّة .. لقد خدمته طِيلَة عشرين عامًا ، واحتملت سخافاته وتعنُّته .

أجابه (عصام) فى صرامة :

ــ كنت تحصل على أجرك مقابل ذلك .

هتف (سيِّد) فى حَنَق :

ــ وكان هو يحصل على الملايين .

صاح به (عصام) فى غضب :

ــ وهل تصوَّرت أنه يحصل عليها منذ مولده ؟.. لقد قاتل وكافح ، واحتمل الهوان والمرار ليجمع هذه الثروة ، وهو وحده صاحب الحقّ فى إنفاقها ، على أى نحو يشاء .

زفر (سيِّد) فى عمق ، وهو يقول :

ــ نعم .. أنتم على حقّ .

وفجأة ، وقبل أن يدرك أحدهم مقصده ، ارتفعت فُوَّهة مسدَّسه فى وجوههم ، وهو يردف فى بطء :

ــ وهذا يُجبرنى على إراقة المزيد من الدماء هنا .

* * *

سَرَت موجة من التوتُّر الشديد فى الحجرة ، وتراجع الجميع فى حِدَّة ، وهم يحدِّقون فى فُوَّهة مسدَّس (سيِّد) ، وهتف (مدحت) فى ذُعْر :

ــ كلَّا يا (سيِّد) ، لا تفعل هذا .

أجابه (سيِّد) فى صوت بالغ الحزن :

ــ للأسف يا أستاذ (مدحت) .. ليس أمامى سوى أن أفعل هذا .

هتف (مراد) فى ارتياع :

ــ كلَّا يا (سيِّد) .. كلَّا .. سنمنحك النصيب الذى كنت تنشده من الثروة .. سنتنازل لك عن المبلغ .

هزَّ (سيِّد) رأسه ، وهو يقول فى مرارة :

ــ لا فائدة .. لا فائدة للأسف .. لقد انتهى كل شىء .

صاح (منير) فى رُعب :

ــ كلّا يا (سيِّد) .. لم ينته كل شىء بعد .. إننا لن نتّهمك .

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ــ كفى أيها السادة .

ثم مدّ يده إلى (سيِّد) ، مستطردًا فى حزم :

ــ ناولنى هذا المسدّس .. إنك لن تقتل أحدًا هنا .

تطلّع إليه (سيِّد) بعينين خاويتين ، وهو يقول :

ــ أقتل ؟!.. يبدو أنكم جميعًا أسأتم فهمى .. إن الدماء التى ستُراق ليست دماءكم أنتم .. بل دمائى أنا .

اتسعت عينا (عصام) فى ذُعر ، وهتف وهو يقفز نحوه :

ــ كلّا يا (سيِّد) .. لا تفعل .

ولكن (سيِّد) كان أكثر سرعة ، فقد رفع فُوَّهة مسدسه إلى حلقه ، و .....

وأطلق النار ..

* * *

اتسعت عينا (عصام) فى ذُعر ، وهتف وهو يقفز نحوه :
ــ كلّا يا (سيد) .. لا تفعل ..

١٠ ـ الختام ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثامنة صباحًا ، حينما قرع (عصام) جرس باب شقة خطيبته (نهلة) ، وابتسم فى شُحُوب ، حينما جاوبه نباح متصل ، وصوت قوائم تعدُو نحو الباب ، ثم لهاث فرح ، قبل أن يختلط كل ذلك بصوت (نهلة) الرقيق ، وهى تقول :

ـ انتظر يا (كوكى) .. سنستقبله معًا .

لم تكد تفتح الباب حتى قفز (كوكى) ، الكلب الضخم ، وراح يلعق وجه (عصام) ، وينبح فى سعادة ، ويهزُّ ذيله مرحًا ، على حين ابتسمت (نهلة) فى هدوء ، وهى تقول :

ـ صباح الخير يا (عصام) .

ربَّت (عصام) على رأس (كوكى) ، وهو يغمغم بابتسامة باهتة :

ـ صباح الخير يا (نهلة) .. كيف حالك ؟.. هل سبَّب لك (كوكى) المتاعب ؟

ابتسمت ، وهى تقول :

ـ ليس إلى الحدّ الذى يدفعنى للشكوى منه .. صحيح أنه يتقافز فوق الأريكة والمقاعد ، ويصرّ على اللَّعب بخيوطى وأدوات الحياكة ، ويزمجر فى وجه أبى كلَّما رآه ، إلا أنه كلب لطيف مطيع ، و .....

بترت حديثها دفعة واحدة ، وهى تتطلَّع إلى ابتسامته الشاحبة ، ووجهه الممتقع ، ثم سألته فى قلق :

ـ ماذا بك يا (عصام) ؟.. ألم تَنَمْ بعد ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ ألن تدْعِينى للدخول أوَّلًا ؟

تنبَّهت إلى أنهما يقفان أمام باب الشقة ، فأسرعت تفسح فى الطريق ، وهى تهتف :

ـ بالتأكيد .

دلف إلى الشقة ، وأغلق بابها خلفه فى بطء ، فعادت تسأله فى قلق :

ـ ماذا بك ؟

منحها نفس الابتسامة الشاحبة ، وهو يغمغم :

ـ هل لى فى قدح من الشاى أوَّلًا ؟

غمغمت فى قلق ولهفة :

ـ بالطبع .

تركها تعدّ الشاى ، وألقى جسده المنهك فوق أقرب مقعد إليه واسترخى فيه ، وتنهّد فى عمق ، وهو يسبل جفنيه ، ويستعيد أحداث اليوم السابق ..

كم أدهشه أن هذا قد حدث فى يوم واحد فحسب ..

وتداعت أفكاره وذكرياته فى سرعة ، فلم يشعر إلا بأنامل (نهلة) ، وهى تمسّ جبينه فى رقّة ، مغمغمة :

ـ (عصام) .. هل غلبك النوم ؟

فتح عينيه فى تكاسل ، وابتسم نفس الابتسامة الشاحبة ، وهو يقول :

ـ كلّا .. لقد شرد ذهنى فحسب .

قدّمت له قدح الشاى ، وعادت تجلس إلى جواره ، وتسأله :

ـ ماذا بك ؟

ارتشف قليلًا من الشاى الساخن ، وخُيّل إليه أنه يسرى فى عروقه ، ويُوقظ حواسه ، فتنهّد فى ارتياح ، وقال :

ـ سأخبرك يا (نهلة) .

ثم راح يقصُّ عليها كل ما حدث ، وهى تستمع إليه فى

اهتمام ، وتتفاعل مع تفاصيل القصة ، فيرتفع حاجباها فى دهشة ، أو يلتقيان فى غضب ، أو يتباعدان فى حيْرة أو استنكار ، حتى انتهى من قصته ، فران عليهما صمت قصير ، قطعته هى ، وهى تغمغم :

ـ حسنًا .. لقد نال القاتل جزاءه .. أليس كذلك ؟

غمغم فى هدوء :

ـ بالتأكيد .

سألته فى عطف :

ـ لماذا تبدو بائسًا جزعًا هكذا إذن ؟

مطّ شفتيه ، وهو يقول :

ـ لقد رأيت ـ لأوّل مرّة فى حياتى ـ رجلًا يُطلق النار على نفسه .

وأغلق عينيه ، وهو يغمغم فى ارتياع :

ـ لقد كان مشهدًا رهيبًا .

امتقع وجهها لمجرّد تصوُّر الموقف ، وسألته فى توتُّر :

ـ وماذا فعل (عماد) و (غُلا) ؟

أجابها فى مراراة :

ـ أصابهما رُعب هائل ، كاد ينقلب إلى انهيار نفسى

رهيب ، لولا أن أسرع والدهما يستدعى طبيبهما الخاص ، الذى حقنهما بمادة مهدِّئة ، جعلتهما يَخْلَدان إلى النوم .

غمغمت فى أسف :

ــ يالها من تجربة رهيبة بالنسبة لعمريهما .

أومأ برأسه موافقًا ، وقال :

ــ لقد قرَّر والدهما منعهما من الاضطلاع بأيَّة قضايا بعد ذلك ، نهائيًا .

تمتمت فى لُهفة :

ــ أظنّ أنه على حقّ .

عقد حاجبيه فى حزن ، وهو يغمغم :

ــ ولكننى أعجز عن استيعاب ذلك .. هل انتهى الفريق ؟.. يا إلهى !

وشَرَد بصره ، وهو يردف فى مرارة آسفة :

ــ هل انتهى فريقنا ؟.. فريق (ع × ٢) ؟

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع/٣٥٤١

مشروع ٢ × ٢

سلسلة إذاعية تليفزيونية مثيرة للناشئين
تنشط العقل وتنمي الفكر والذكاء

المؤلف

د. نبيل فاروق

قضية الوصية الضائعة

- وصيّة كتبها رجل ثرى ، يهب فيها ثلث ثروته لسكرتيره الخاص ، ولكن الوصيّة تختفى فى ظروف غامضة ، ويرفض أشقاء الثرى الراحل الاعتراف بها .
- ثرى .. أين اختفت الوصيّة ؟.. وكيف ؟
- ثرى .. كيف يواجه فريق (ع × ٢) لغز هذه القضية الجديدة ؟
- اقرأ التفاصيل ، وحاول أن تسبق (عماد) و (غلا) إلى حلّ اللغز .

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم

(قضية الحارس الليلى)